﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ [الحديد: 14]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

نـــداءٌ يعكسُ حسرةَ المنافقين

لمّا ذَكَرَ ﷻ في الآيةِ السّابقةِ أنّه ضَرَبَ بسورٍ بين المؤمنين والمنافقين، وبيّن أنّ باطنه فيه الرّحمةُ للمؤمنين، وظاهرَه فيه العذابُ للمنافقين؛ بيّن في هذه الآية ما قاله المنافقون للمؤمنين من وراء ذلك السّورِ، ألم نكن في الدّنيا معكم؟ فأجابهم المؤمنون: بلى، ولكنّكم فتنتُم أنفسَكم.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُنَادُونَهُمْ﴾: (ندي) أصلٌ يدلُّ على تجمُّعٍ، وقد يدلّ على بَلَلٍ في الشّيء. ونَدَى الصّوت: بُعْدُ مذهبِه. وهو أندى صوتًا منه؛ أيْ: أبعد[1]. والنّداء معناه الصّوت، ومنه المناداة، وهي الدّعوة بأعلى الصّوت وأرفعِه، ويشمل النّداء ما كان دعاء ورُغاء وصياحًا، والصّوت المُنَدّد المبالِغُ في النّداء، والمعنى المِحوريّ للنّداء: "بُعْدُ مدى ما يبلغُه الشّيء ارتفاعًا أو انفصالًا، كامتداد النّبات، والصّوت، والدّعاء"[2]. ومعنى ﴿يُنَادُونَهُمْ﴾: أيْ: يقولون لهم مع الضّراعة والتّذلل[3].

2) ﴿فَتَنتُمْ﴾: (فتن) أصلٌ صحيح يدلّ على ابتلاءٍ واختبارٍ. من ذلك: الفتنة. وفتنتُ الذّهب بالنّار، إذا امتحنتَهُ[4]. لينظر جودته

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ندي).
(2) الخليل، العين، والجوهريّ، الصّحاح، وابن منظور، لسان العرب، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ندي).
(3) النّخجوانيّ، الفواتح الإلهيّة: 2/ 388.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فتن).

من رداءته، "وجُعلت الفتنة كالبلاء في أنّهما يُستعملان فيما يُدفع إليه الإنسان من شدّةٍ ورخاءٍ، وهما في الشّدّة أظهر معنًى، وأكثرُ استعمالًا"[1]، والغالبُ في السّياق القرآنيّ أن تأتيَ الفتنة بمعنى الإضلال أو الإحراق. ومعنى ﴿فَتَنتُمْ﴾ في الآية: أنّكم اخترتم النّفاقَ سبيلًا، فآثمتُم أنفسَكم به[2].

3) ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾: (ربص) أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الانتظار. من ذلك التّربّص. يُقال: تربّصتُ به[3]، وتربّص عن الأمر: توقّف، وربصه أمرٌ بمعنى: حبَسَه، وفي المكان بمعنى: لبث، والتّربّص: الانتظار للشّيء خيرًا أو شرًّا، وتربّص بسلعته الغلاء؛ أيْ: أبقاها لوقته، وتربّص أي: احتكر، والمعنى المِحوريّ للتّربّص هو الجُثوم أو الثّبات للشّيء في مكانه مع استغلاظٍ أو حِدّةٍ ما، ويُطلق على اللُّبثِ في المكان، واختزان السّلعة، وسائر ما جاء في القرآن منه فهو بمعنى الثّبات انتظارًا مع حدّةٍ[4]. ومعنى ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ في الآية: "تركتم التَّوبةَ من الكُفرِ والنّفاقِ، ويُقال: انتظرتم موتَ محمَّدٍ ﷺ، وإظهار الكفر"[5].

4) ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾: (ريب) أصلٌ يدلُّ على شكٍّ، أو شكٍّ وخوفٍ[6]. وهو أيضًا أن تتخوّف من عاقبة شيءٍ، ومن معاني الرَّيْب: التُّهمة، والرّيب أن تتوهَّم حصول شيءٍ، ثمّ ينكشف عنه، وهو قلق النّفس واضطرابها[7]، ومعناه المِحوريّ: أن يُلِمّ بالمَرء المستقرّ ما يسوؤه ويُثيره ويُزعجُه، وينزلَ بالنّفس السّاكنة أمرٌ غيرُ معروفٍ، أحَقٌّ هو أم باطلٌ؟ فيختلط عليه[8]. ومعنى ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾ في الآية: أطلقتم ظنونكم واتهاماتكم في نُبوَّتِه، وفيما أوعدكم به الرّسولُ ﷺ[9].

5) ﴿وَغَرَّتْكُمُ﴾: (غر) أصلٌ يدلّ على الغفلة ونقصان الفطنة، والغرور ما يغرّ الإنسان

(1) الخليل، العين، والجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (فتن).
(2) الواحديّ، الوجيز، ص: 1068.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ربص).
(4) الخليل، العين، وابن دريد، جمهرة اللّغة، والرّاغب، المفردات، والزّبيديّ، تاج العروس، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المُؤصّل: (ربص).
(5) الفيروزابادي، تنوير المقباس، ص: 457.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ريب).
(7) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (ريب).
(8) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ريب).
(9) الخازن، لباب التّأويل: 4/ 249.

كالجاه والمال والشّهوة، وقد فسّر بالشّيطان أيضًا، وبالدّنيا التي تضرّ وتغرّ، ويُقال: غرّته الدّنيا؛ أيْ: خدعته بزُخرفها وزينتها[1]، ومعنى ﴿وَغَرَّتْكُمُ﴾ في الآية: خدعتهم الدّنيا، وقالوا لأنفسهم سيغفر الله لنا[2].

6) ﴿ٱلْأَمَانِيُّ﴾: جمع أمنيّة، و(مني) أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يدلّ على تقدير شيءٍ ونفاذ القضاء به. ومنه قولهم: منّى له الماني؛ أيْ: قدّر المُقدّر[3]. والمَنيَّة معناها الموت؛ لأنَّها مُقدّرةٌ على جميع المخلوقات، وأمنية الإنسان ما كان من أملٍ يُقدّره؛ لأنَّ المُتمنّي يُقدّر في نفسه، ويحزر ما يتمنّاه، والأمنيّة هي الصّورة الحاصلة في النّفس من تمنّي الشّيء؛ لأنّ القائل إذا قال ما لا يعلمه فكأنَّه يتمنّاه، والأمانيّ على وزن (أفاعيل) جمع (أمنيّة)، والأماني مرادفة في المعنى للأحلام وهي تضليلٌ وإيهامٌ[4]. ومعنى ﴿ٱلْأَمَانِيُّ﴾ في الآية محلّ الشّاهد: هي ما كانوا يرجونه من أقوالهم أن يَهْلِك الرّسولُ ﷺ مع أصحابه كي يرجعوا إلى دينهم[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

نـداءُ الـخُـذلانِ والحسرةِ

في هذه الآية ينادي المنافقون أهلَ الإيمان بعدما ضُرب السّور بينهم، فافترق الجمع، وانقسم المصير؛ أولئك في نور الجنّة، وهؤلاء في ظلمات العذاب، فنادَوا: ألم نكن معكم؟ ألم نشارككم الصّلاةَ والصّيام ونخالطكم في المعايش؟ فيأتيهم الجواب بما يكشف خفايا القلوب: بلى، كنتم بيننا ظاهرًا، ولكنّكم فتنتم أنفسكم بالنّفاق،

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (غرّ).
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 179.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مني).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (مني).
(5) ابن أبي زمنين، تفسير القرآن العزيز: 4/ 351.

وترددتُم في الإيمان، وشكّكتُم في التّوحيد والنّبوة، وخدعتْكُم الأماني الكاذبة، فحال ذلك بينكم وبين الحقّ، حتّى جاء أمرُ الله بغتةً، وانقضى الأجل، وأخذتكم الغفلةُ على حين غِرّةٍ، وخدعكم الشّيطانُ، فغرّكم بالله الغَرور، وأطمعكم في نجاةٍ لا يستحقّها الغافلون[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

سِرُّ فصلِ هذه الآيةِ عمّا قبلها:

تصويرُ مشهدِ نداءِ الخُسرانِ من المنافقين

فُصِلَ قولُه تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ عمّا قبلَه؛ لأنّه استئنافٌ خبريٌّ يُصوِّرُ مشهد نداءِ الحسرة الذي يُطلقه المنافقون في موقف الحشر[2]، بعد أن ضُرب بينهم وبين المؤمنين بسور الفصل، فكأنّ الخطاب ينبثق من قاع الحَسْرة والخُذْلان، متعلّقًا بأوهى خيوط الانتماء. ويحتمل أن يكون سِرّ فصلِ جملة النّداء عمّا قبلها؛ أنّها استئنافٌ بيانيٌّ، كأنّ سؤالًا قد تقدَّم في السّياق: فماذا يفعلون إذا ضُرب السّور ورأوا العذاب؟ فجاء الجوابُ يكشف حالتَهم المأساويّة، فقال: ﴿يُنَادُونَهُمْ﴾[3] في صورة نداءٍ يائسٍ يكشف عن التّعلُّق البائس والخُذلان المبين.

سِرُّ التّعبيرِ بالمُناداةِ في ﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ دونَ القولِ:

الصّوتُ العالي من المنافقين لا يُغيّرُ الحقائقَ

جاء التّعبيرُ بالفعلِ ﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ دون فعلِ القولِ؛ لأنّ النّداءَ أخصُّ من القولِ، إذ هو رفعُ الصّوتِ بقوّةٍ بغرضِ الإسماعِ، وهو مُشتقٌّ من النِّداءِ؛ أي: الصّوتِ العالي[4]، للدّلالة على شدّة الحاجة، وانفعالِ المُتكلّم، وطولِ السّور الفاصل بينهم؛ فجاء بهذا التّعبيرِ ليُصوِّرَ حالَ المنافقين وهم يرفعون أصواتَهم بنداء المؤمنين في مشهد الحشر، بعد أن حُجِزَ بينهم بالسّور، فبَقوا في الظّلمة والعذاب، وانفصل

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 23/ 184 - 185.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 106، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 275.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 208.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 4/ 199.

عنهم أهلُ الإيمان إلى النّور والرّحمة[1]، بخلاف التّعبير بالقول فلا يُؤدّي معنى رفعِ الصّوت العالي الذي يريده المنافقون في ندائهم للمؤمنين، ولأنّ النّداء يصوّر حالةَ التّحسُّر عندهم بخلاف القول.

دلالةُ استعمالِ فعلِ النّداءِ مُضارعًا:

تصويرُ إلحاحِ المنافقين وتكرارِه

دلَّ استعمالُ الفعلِ المضارعِ ﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ على تصويرِ الحَدَثِ، وكأنّه جارٍ ومُتجدّدٌ، إذ يُظهر حالَ المنافقين والمنافقات وهم يواصِلون النّداءَ بإلحاحٍ، ويرفعون أصواتهم من قلبِ الظُّلمة[2] ويُكرِّرونَه في رجاءٍ يائسٍ للمؤمنين أن يلتفتوا إليهم.

سِرُّ اقترانِ الفعلِ ﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ بالضّميرِ دونَ الإظهارِ:

تصويرُ الحالةِ النّفسيّةِ للمؤمنين في ندائِهم للمنافقين

اقترن فعلُ النّداء بالضّمير في قوله تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ دون أن يُصرّح بلفظ المؤمنين والمؤمنات؛ لما في الإضمار من دلالةٍ على قُرب العهدِ بالذِّكر، ولإظهار أثرِ الموقف النّفسيّ، إذ يوحي هذا الأسلوبُ بشيءٍ من التّرفُّق والرّجاء من المنافقين أثناءَ نداءِ المؤمنين[3]، في لحظةٍ حاسمةٍ تزامنت مع ضَرْب السّور، وكأنّهم يَلوذون بخيطٍ أخيرٍ من العلاقة الخادعة التي جمعتهم في الدّنيا.

دلالةُ التّذكيرِ في فعلِ النّداءِ مع وجودِ المؤمناتِ:

التّغليبُ في الخطابِ الجمعيِّ أسلوبٌ عربيٌّ أصيلٌ

المُنادَى في قوله تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ هو الضّميرُ (هم)، وهو عائدٌ على المؤمنين والمؤمنات[4]، غيرَ أنّ التّعبيرَ بالفعل ورَدَ بصيغةِ التّذكيرِ على الرّغم من وجود المؤمنات؛ لأنّه أراده على سبيل تغليب المُذكّر على المؤنّث[5]، وهو أسلوبٌ عربيّ شائعٌ يُراعَى فيه القَصْد إلى الجمع المختلط، فيُعبّر عنهم بصيغة المُذكّر، وهذه الصّيغة لا تُقصي

(1) الثّعلبيّ، الكشف والبيان: 9/ 238.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 275.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 275.
(4) الشّنقيطيّ، أضواء البيان: 7/ 866.
(5) السّبكيّ، عروس الأفراح: 1/ 329.

المؤمنات، بل تندرج فيهم دلالةً، ويُفهم منه أيضًا أنّ الخطاب موجَّهٌ في المقام الأوّلِ لِمَنْ كان ظاهرهم الصّحبة والمشاركة، وهم غالبًا الرّجال ممّن قادوا النّفاق، ومارسوا التّلبيس.

دلالةُ حذفِ القولِ مع جملةِ ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾:

إسقاطُ الحواجزِ بين الفعلِ والمقولِ

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ منصوبٌ بقولٍ مُقدَّرٍ[1]، وقد حُذِفَ ليفسحَ المجالَ للصّورة السّمعيّة أن تتقدَّم المشهد، لدلالة فعل النّداء على رفع الصّوت وشدّة الانفعال، فالصّوتُ ليس قولًا هادئًا فحسب، بل هو نداءٌ يائسٌ مُتكرّرٌ، يحمل في طيّاته لهفةَ المنافقين وارتباكَهم، فالحذفُ هنا يُسرّع الإيقاعَ، ويُسقطُ الحواجزَ بين الفعل والمقولِ، فيتلاحَمُ النّداءُ بالمضمون مباشرةً دونَ فاصلٍ، لتسمعَ الصّرخة، وتدرك الحُرْقة.

سِرُّ التّعبيرِ بالاستفهامِ في جملةِ ﴿أَلَمْ نَكُن﴾ دون الخبرِ:

التّذكيرُ بالماضي والتّودُّدُ في غيرِ أوانِهِ

جاء التّعبيرُ بالاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَكُن﴾ دون الخبر (كنّا معكم)؛ لأنّه استفهامٌ تقريريٌّ يحمل في طيّاته تذكيرًا وتودُّدًا، فهو تقريرٌ لما كان من صُحبةٍ وعِشرةٍ بينهم في الدّنيا، وتذكيرٌ بروابطَ ظاهريّةٍ جمعتهم بالمؤمنين، وتودُّدٌ فيه رجاءٌ خفيٌّ بأن يُؤخذ ذلك بعين الاعتبار، فيَلْحقوا بركْب المؤمنين، وينجوا كما نجا أولئك، غيرَ أنّ الوقت قد فات، ولاتَ حينَ مناصٍ[2].

دلالةُ الاستفهامِ بالهمزةِ مع دلالةِ دخولِها على ﴿أَلَمْ﴾:

دهشةُ المفارقةِ ويأسُ المصيرِ

الاستفهام بالهمزة في ﴿أَلَمْ﴾ استفهامٌ تقريريٌّ، أُدخلت عليه (لم) النّافية، فكان في صورته إنكارٌ ظاهريٌّ، لكنّه في جوهره إقرارٌ خفيٌّ يُذكّر بما كان من ظاهر صحبتهم للمؤمنين في الدّنيا، وكأنّه كنايةٌ عنِ التماس اللّحاق بهم، والانضمامِ إلى صفّهم في النّجاة، كما

(1) ابن عادل، اللّباب: 18/ 475.

(2) المطعني، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 4/ 233.

كانوا معهم في مظاهر الإسلام وأعماله[1]، وإن لم يشاركوا في صدق الإيمان. ويجوز أن يكون الاستفهامُ بالهمزة هنا مُؤذِنًا بالتّعجّب والدّهشة[2]، إذ يُفْصِح عنِ استغراب حالهم وانقطاعِ رجائهم، فهم يتعجّبون من مفارقتهم للمؤمنين في المصير، بعد أن كانوا معهم في الظّاهر، وهو تعجّبٌ ينطوي على يأسٍ دفينٍ وتَمَنٍّ ضائعٍ.

سِرُّ التّعبيرِ بفعلِ الكينونةِ ﴿نَكُن﴾ مضارعًا:

ادّعـاءُ المنافقين كمالَ الاندماجِ مع المؤمنين

دلّ التّعبيرُ بالمضارع ﴿نَكُن﴾ على أنّ المنافقين يُجسِّدون وجودَهم مع المؤمنين، وأنّه لم يكن وجودًا عابرًا، بل كان مُتجدّدًا ومُستمرًّا بحضورهمُ الصّلاةَ معهم ومُشاركتِهم لمشاعر المسلمين، وغرضُهم من ذلك الاستعطافُ. وممّا يُؤكّد ذلك ورودُ التّعبيرِ بضمير الجمع ﴿نَكُن﴾؛ ليُفيدَ الشّمولَ والكُلّيَّة[3]، وكأنّهم يقولون: ألم نكن جميعًا بأعياننا وجماعتنا وحقيقتِنا بينكم، فضميرُ الجَمعِ هنا يُجسِّد ادّعاءَهمُ الكاملَ في الاندماج الظّاهريّ مع المؤمنين.

سِرُّ التّعبيرِ بقولِهِ: ﴿مَّعَكُمْ﴾ دون (منكم):

معيّةُ ادّعـاءٍ لا معيّةُ انتماءٍ

أوثِر التّعبيرُ بقوله: ﴿مَّعَكُمْ﴾ دون (منكم)؛ لأنّ المَعيّة هنا مَعيّةٌ دنيويّةٌ في إظهار الأُخوّة، ودعوى المساندةِ على زعمهم، فنحن نَمُدّ لكم يدَ العَونِ، ونشارِكُكُم في ظاهر الأعمال، فقالوا: ﴿مَّعَكُمْ﴾، ولم يقولوا (منكم)؛ لوجود فرقٍ جوهريّ؛ فـ(منكم) تقتضي الاندراج في حقيقة الإيمان والانتماء الصّادق، وهم يعلمون في قرارة أنفسهم أنّهم ليسوا من المؤمنين؛ بل اتّخذوا أيمانَهم جُنّةً؛ فصَدّوا عن سبيل اللّه، كما قال تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [التّوبة: 56][4].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 385.
(2) الهلال، تفسير القرآن الزّيّ: 11/ 340.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 275.
(4) الهلال، تفسير القرآن الزّيّ: 11/ 340.

دلالةُ المخاطبةِ في قولِهِ: ﴿مَّعَكُمْ﴾:

كافُ الخطابِ في قوله: ﴿مَّعَكُمْ﴾ دالّةٌ على المخاطبة المباشَرة التي تُبرِز استحقاقًا موهومًا بالمشاركة، فكأنّهم يقولون: كنّا معكم في ما أنتُم فيه من الدّين[1]، فاستحْقَقنا بزعمنا ما صرتم إليه من النّجاة، إذ شاركناكم ظاهريًّا في شعائر الدّين. وممّا يُذْكَر في سِرّ مجيء هذا التّعبير بصيغة المخاطبة المباشرة التّأثيرُ في نفوس المؤمنين، فاللّفظُ يحمل في طيّاته إلحاحًا نفسيًّا، يُراد به إثارةُ الشّفقةِ، أو إشاعةُ نوعٍ من الشّكّ في عدالة المُفارقة بين الفريقيْن، وهو من تمام بلاغةِ الخطاب؛ إذ نُقِل الحديثُ من الإخبار إلى المخاطبة الحيّة، ليقوى الأثرُ وتشتدُّ المناشدةُ.

وَهُمُ استحقاقِهم بالمشاركةِ الظّاهرةِ النّجاة من النّارِ

دلالةُ التّعبيرِ بقولِهِ: ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾:

في قولِ المنافقين للمؤمنين: ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ تغريرٌ جديدٌ يواصِلون به خِداعَهم للمؤمنين، كما كانوا يفعلون في الدّنيا، إذ لم يفارقهم دَيْدَنُ الكذبِ حتّى في مشهدِ الفصلِ والجزاءِ، فهم يكذبون في الآخرة كما كذبوا في الدّنيا[2]. ويجوز أن يكون قولُهم ذاك واردًا موردَ التّضرّعِ المُؤلِم، والتّرحّم المُستكانِ[3]، يظهر من خلاله حنينُ يائسٍ إلى صحبةٍ ضائعةٍ، ومحاولةٌ أخيرةٌ لاستجداءِ الرّحمةِ والنّجاةِ.

تغريرٌ لا ينتهي، فَكَذِبُهم في الآخرةِ امتدادٌ لكَذِبِ الدُّنيا

سِرُّ التّعبيرِ بالقولِ ﴿قَالُواْ﴾ دونَ المناداةِ:

استعمالُ فعلِ القول ﴿قَالُواْ﴾ من الذين آمنوا[4] دونَ المناداة الدّالّة على رفع الصّوت؛ لبيان أنّ المؤمنين لا حاجةَ لهم في رفع الصّوت الذي هو طريقة المحتاجين أو الملهوفين، والمؤمنون ليسوا كذلك، بل هم على الغاية من الثّبات واليقين والاطمئنان.

فعلُ القولِ دالٌّ على اليقينِ لا على الاستغاثةِ والأنينِ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 276.
(2) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 9/ 522.
(3) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 839.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 276.

دلالةُ التّعبيرِ بالفعل ﴿قَالُواْ﴾ ماضيًا:

التّفريقُ بين نداءِ المنافقين المُتردّدِ، وجوابِ المؤمنين الحاسمِ

عبّر القرآنُ الكريمُ بالفعلِ الماضي ﴿قَالُواْ﴾؛ ليثبتَ يقينَ الإجابةِ وقطعَ الشّكِّ؛ لأنّ الماضي في الجوابِ يُعبِّر عن الحَسْمِ والثّقةِ، وهذا التّباينُ البلاغيُّ يزيد الموقفَ حيويّةً ووضوحًا، ويُبرزُ الفرقَ بين نداء المنافقين المُتردّد الذي عبّر عنه القرآنُ بصيغة المضارع في قوله: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْۖ﴾، وبين الجوابِ القطعيِّ للمؤمنين.

دلالةُ التّعبيرِ بحرفِ الجَرّ ﴿بَلَىٰ﴾:

إقرارٌ بالمَعيّة الظّاهرة، لا تصديقٌ بالولاءِ الباطنيّ

استعمل التّعبيرُ القرآنيّ حرفَ الجوابِ ﴿بَلَىٰ﴾ دونَ غيرِه؛ لأنّه يُفيد إبطالَ النّفي الواردِ في سؤالهم[1]، والمعنى: ﴿بَلَىٰ﴾ كنتم في ظاهر أمركم معنا[2]، وليس في هذا إيجابٌ بمعنى التّصديق بدعواهم، بل هو إقرارٌ من المؤمنين بمَعيَّةٍ شكليّةٍ ظاهرةٍ، لا تعني صِدقَ الصّحبةِ، ولا حقيقةَ الإيمانِ[3].

سِرُّ التّعبيرِ بحرفِ الاستدراكِ (لكنّ):

استدراكٌ يكشفُ زيفَ استنكار المنافقين عندما قالوا (ألم نكن معكم)

جاء التّعبيرُ بحرف الاستدراك (لكنّ) في قولهم: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ ليقطعَ ما قد يُتوهّم من جوابهم السّابق ﴿بَلَىٰ﴾ من الإقرار بالمساواة، أو الاشتراكِ الحقيقيّ، فكان الاستدراكُ رافعًا لهذا الوهم، مُبيِّنًا أنّ الموافقة في الظّاهر لا تَلْحَق بالمؤمنين في المصير، إذ إنّ أعمالهم لم تكن نابعةً من إيمانٍ، بل كانت ستارًا يُخفي باطنًا مُضادًا، ففرّق الجوابُ بين الظّاهر المخادِع والباطنِ الفاسِد[4].

دلالةُ المُخاطبةِ بقولِهِ: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ﴾:

تحميلُ المنافقين المسؤوليّةَ، وتكثيفُ التّقريعِ النّفسيِّ لهم

دلالة المُخاطَبة في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ بدلًا

(1) ابن هشام، مُغني اللّبيب، ص: 153.
(2) السّمعانيّ، تفسير السّمعانيّ: 5/ 371.
(3) المطعني، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 4/ 234.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 385.

من قوله مثلًا: (ولكنّ المنافقين) تُعبّر عن مواجهةٍ مباشرةٍ توبيخيّةٍ، تُحَمِّلهم مسؤوليّةَ ما اقترفوه بلا مواربةٍ، وتفضحُ حالَهم أمامَ المؤمنين، فالمخاطبةُ هنا تشديدٌ في التّأنيب، وتكثيفٌ للتّقريع النّفسيّ.

سِرّ التّعبيرِ بالفتنةِ في قولِهِ: ﴿فَتَنتُمْ﴾:

المُرادُ بها الضّلالُ والانحرافُ

آثَر القرآنُ الكريمُ التّعبيرَ بالفتنة في قوله: ﴿فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ دون استعمال لفظِ الابتلاء؛ لأنّ الفتنة في هذا الموضع لا يُراد بها المحنةُ أو الاختبار، بل الضّلالُ والانحراف، كما في مواضع عديدةٍ من القرآن، فهي هنا بمعنى: أضللتُم أنفسَكم، واخترتم طريقَ النّفاقِ بإرادتكم، وهو كفرٌ باطِنٌ سترتم به قلوبَكم[1]، فكانت الفتنةُ منكم لا عليكم.

دلالةُ صوغِ فعلِ الفتنةِ ماضيًا:

نفاقُهم ماضٍ لا يُمحَى، وأثرُه باقٍ في المصيرِ

جاء فعلُ الفتنة ماضيًا في قوله تعالى: ﴿فَتَنتُمْ﴾؛ للدّلالة على أنّ ما ارتكبوه من ضلالٍ وكفرٍ ونفاقٍ قد وقع وانقضى، فهو ماضٍ لا يُمحَى، وأثرُه باقٍ في المصير، فقد أهلكوا أنفسَهم بملءِ إرادتِهم، وانغمسوا في المعاصي والشّهوات، فكانت جميعُها فتنةً مُهْلِكةً[2]، وانحرافًا ومقصودًا اختاروه لأنفسهم.

دلالةُ التّعبيرِ بـ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ دون (نفوسكم):

لفظُهُم قليلٌ، ووزنُهُم ضئيلٌ، لا يُعتدُّ بهم في جمعٍ ولا دليلٍ

أوثر التّعبيرُ بـ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ وهي من جموع القِلّة[3] دون (نفوسكم)؛ للدّلالة على حقارة ما فتنوه وأهلكوه، وكأنّهم لم يفتنوا إلّا القليلَ الضّئيل من ذواتهم، ومع ذلك كان كافيًا في هلاكهم، إشارةً إلى أنّ أدنى فسادٍ في النّفس إذا كان عن عمدٍ واختيارٍ، يورد المهالك. وفي التّعبير بقوله: ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ دون (نفوسكم) إشارةٌ بليغةٌ إلى أنّ المنافقين في حقيقتهم قلّةٌ ضئيلةٌ بجانب جمع المؤمنين،

(1) الشّنقيطيّ، أضواء البيان: 7/ 866.
(2) الخازن، لباب التّأويل: 4/ 249.
(3) ابن يعيش، شرح المُفصّل: 3/ 224.

لا يُعتدّ بهم عددًا، ولا يوزنون وزنًا، فقِلّتُهم في اللّفظ تعكس ضآلتَهم في الحقيقة، مهما بالغوا في إظهار الكثرة والصّحبة.

سِرُّ التّعبيرِ عن اضطرابهم وعدمِ استقرارِهم الإيمانيِّ بالفتنةِ:

انقيادُهم وراءَ شهواتِهم أدّى إلى اضطرابِهم

عبّر النّظم القرآنيّ عن اضطرابهم وعدمِ استقرارِهم الإيمانيّ بالفتنة في قوله: ﴿فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾؛ لأنّهم خالطوا أنفسَهم بخوضٍ مُضطربٍ في أحوالِ الدّينِ، فتنةٍ أمالت فطرتَهم عن الاستقامة، وطلبوا من الإيمانِ ما هو محسوسٌ ليَبرؤوا من الشّكوك، فلم يؤمنوا بالغيب كما أُمروا، فأهلكوا أنفسَهم، وانقادوا وراءَ شهواتٍ زائلةٍ صرفتهم عن صفاء الباطن، ورفعةِ المعاني[1].

دلالةُ إسنادِ الفتنةِ إليهم دون غيرِهم:

فتنتُهم من دواخلِ أنفسِهم، لا من فِعلِ غيرِهم

في قوله تعالى: ﴿فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ إسنادٌ مباشرٌ للفتنة إليهم دونَ غيرهم؛ للدّلالة على أنّهم أصحابُ الفعل والإرادة، فهم الذين أضلّوا أنفسَهم باختيارهم، وجاءت إضافةُ الفتنة إلى النّفس خاصّةً، إشارةً إلى أنّ منشأ الانحراف كان من دواخلهم، من ميلها وشهوتها[2]، لا من مؤثّرٍ خارجيٍّ، فكأنّ النّفس هي التي قادتهم إلى المَهلَكة حين استجابت للفتنة، وسلكت دروبَ الضّلال طوعًا.

دلالةُ العطفِ بالواوِ:

الدّلالةُ على ارتكابِهم لهذه الأفعالِ والآثامِ

في قوله تعالى: ﴿فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ﴾ عُطفت هذه الجمل بالواو[3]؛ لتدلَّ على تعدُّدِ الأفعالِ والذّنوب التي ارتكبها المنافقون وتراكمِها، وأنّها حدثت منهم جميعًا، ممّا أدّى إلى هلاكهم وضلالهم، فالواو كما هو شأنُها تُفيد الجمعَ المُطلق، والمشاركةَ في الحُكم[4]، أيْ إنَّ هذه الأمور كلَّها

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 276.
(2) حقّي، روح البيان: 9/ 362.
(3) الدّرويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 463.
(4) ابن هشام، مغني اللّبيب، ص: 463.

اجتمعت فيهم، وكانت سببًا في فتنتهم لأنفسهم وغرورهم، فكلّ فعلٍ من هذه الأفعال كان له دورٌ في تكريس ضلالهم وتأخير توبتهم.

سِرُّ تقديم (فتنةِ أنفسِهم) على بقيّةِ أسبابِ الخُسرانِ:

الـفـتـنـةُ أصـلُ الانحرافِ ومَنبتُ سائرِ الضّلالاتِ

يكمُنُ سرّ البدءِ بتقديمِ قوله: ﴿فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ على بقية أسباب الخُسران الواردة في الآية؛ فالفتنة هي أصلُ الانحراف وبدايتُه، ومنها تتفرّع سائرُ مظاهرِ الضّلال، فهي التي تُمثّل أوّلَ انكسارٍ داخليٍّ في النّفس، وأوّلَ خضوعٍ لهواها، فبدأ بها البيانُ الإلهيّ؛ لأنّها الجَذْر الذي نبتتْ منه بقيّةُ الآفاتِ.

سِرّ التّعبيرِ بالتّربُّصِ دونَ الانتظارِ:

الـتّرقّـبُ المُريبُ مـن المـنـافـقين لهلاكِ المؤمنين

استَعمَل التّعبيرُ القرآنيّ فعلَ التّربّص في قوله: ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ دون الانتظار؛ لأنّ في التّربّص معنى التّرقّب المُريب، والانتظارِ الخبيث، فهو ليس توقّعًا بريئًا، بل تمنّي شرٍّ يحيق بالمؤمنين، والأظهر: أنّ المُراد به هنا تربُّص المنافقين بهم الدّوائر؛ أي: انتظارهم لنوازل الدّهر أن تُهْلِكَ أهلَ الإيمان[1]، وفيه كشفٌ لنواياهم الكامنة، وفضحٌ لمواقفهم العدائيّة المستترة بثوب الصّحبة الظّاهرة. وممّا يُذْكر في سرّ التّعبير بالتّربُّص دون الانتظار: أنّه يدلّ على التّرقّب اللّصيق، والحرصِ الشّديد، فقد استُعير هنا ليُعبّر عن رجاء المنافقين القويّ في أن يُصيبَ المؤمنين شرٌّ أو هزيمةٌ، فهو انتظارٌ مشوبٌ بالشّماتة والتّمنّي، يجمع بين قُرب التّرقّب وشدّةِ التّعلّقِ بوقوع المرغوب[2]، وفيه ما يكشف خُبثَ النّيّةِ، وسوءَ الطّويّةِ.

سِرُّ حذفِ مفعول ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ ومتعلّقَه في الآية:

كـثـرةُ مـظـاهـرِ الـتّـربّـصِ من المنافقين

جاء حذفُ مفعولِ ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ ومتعلّقِه في الآية؛ لإفادة التّوسعةِ والتّكثيرِ في وجوه التّربّص، إذ يحتمل معاني متعددة، منها: تربّص

(1) الشّنقيطيّ، أضواء البيان: 7/ 866.
(2) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 4/ 234.

المنافقين بالحقّ وأهله، وتربّصهم بالتّوبة وتأخيرها[1]، بل وتربّصهم بهزيمة المسلمين في الغزوات، أو بانقسام صفوفهم، فكلّها وجوهٌ من الأذى والخبث[2]، جمعها الحذفُ ليَعُمّ المعنى، ويُبرزَ سعةَ التّربّص، وكثرةَ مظاهرِه في نفوسهم المريضة.

سِرُّ ذِكْرِ التّربّصِ بعد فتنةِ النّفسِ:

الفتنةُ أصلُ الانحرافِ، والتّربّصُ من ثمارِه

ذُكِرَ التّربّصُ بعد فتنةِ النّفس في قوله تعالى: ﴿فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ﴾؛ لأنّ الفتنة تُمثّل الانحرافَ الدّاخليّ، واختلالَ البوصلةِ الإيمانيّة من داخل النّفس، فإذا فسدت النّفسُ وانقادت لهواها، كان التّربّص نتيجةً طبيعيّة لذلك الانحراف، فهو سلوكٌ انتظاريّ مُريبٌ، نابعٌ من الشّكّ والرّيبة؛ فالتّرتيبُ ظاهر؛ إذ بدأ بما هو أصل الفساد (الفتنة)، ثمّ ثَنّى بما تفرّع عنه من سلوكٍ منحرفٍ (التّربّص) في تصويرٍ مُتصاعدٍ لانهيار النّفس.

سِرُّ التّعبيرِ بالماضي:

تأكيدُ وُقوعِ هذه الذّنوبِ وحتميّة نتائجِها

أوثِر استعمالُ الأفعال الماضية في قوله تعالى: ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾ على المضارع، لإثبات وقوع هذه الأفعال في الماضي كحقائق معلومةٍ ومكتملةِ الأثر، وأنّ هذه الصّفات والذّنوب قد تجسّدت فيهم، وحدثت فعلًا، فلا مجالَ لإنكارها أو انتظار حدوثها.

دلالةُ صيغةِ التّفعُّلِ في ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾:

المُراقبةُ المصحوبةُ بالسّؤالِ والتّفتيشِ

جاء فعل التّربّص على صيغة (التّفعّل) في قوله تعالى: ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾؛ لأنّ من معاني صيغة (التّفعّل) التّكلّف والمشقّة، وهو المعنى المُراد؛ إذ تدلّ على الانتظار المُرهق، والمراقبة المتأنّية، مصحوبةً بالسّؤال والتّفتيش عن الأخبار والأحداث[3]، فتُجسّد بذلك جهدًا مُتعبًا، وتكلّفًا ملحوظًا.

(1) الماورديّ، النّكت والعيون: 5/ 476.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 386.
(3) الهلال، تفسير القرآن الرّيّ: 11/ 341.

سِرُّ التّعبيرِ بالارتيابِ دونَ الشَّكِّ:

ارتيابٌ مصحوبٌ بالاتّهامِ والرّيبةِ لا مجرّدُ شكٍّ

جاء التّعبيرُ بـ﴿وَٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ دونَ (شكّكتم)؛ ليُظْهِر نوعًا أعمقَ من التّردد، فهو ارتيابٌ مصحوبٌ بالاتّهام والرّيبة، لا مجرّد شَكٍّ، فهم قدِ ارتابوا في أصولِ دين اللّه تعالى، وفي حقائق القرآن الكريم، وفي نبوّة محمّدٍ ﷺ، وفي البعث والحساب والآخرة[1]، فكان ارتيابُهم ضربًا من الإنكار والازدراء، لا محضَ تردُّدٍ أو حيرةٍ.

دلالةُ حذفِ مُتعلّقِ ﴿وَٱرۡتَبۡتُمۡ﴾:

ارتيابٌ بلا حدودٍ يـعـمُّ أركـانَ الدّينِ

حَذفُ مُتعلّقِ الفعل ﴿وَٱرۡتَبۡتُمۡ﴾؛ لدلالته على العموم والشّمول، فيشملُ الشّكّ في وعيد اللّه، أو في نبوّة محمّد ﷺ، أو في البعث والقيامة[2]، ممّا يعكس عمقَ ارتيابِهم وتشتُّتَ أمرِهم، ويتركُ بابَ التّأويل مفتوحًا على عدّة احتمالات.

دلالةُ ذِكْرِ الارتيابِ بعد التّربّصِ:

كَشْفُ تَطوّرِ سلوكِ المنافقين من تربُّصٍ خَفيٍّ إلى ريبةٍ غامرةٍ

ذكر التّعبيرُ القرآنيّ الارتيابَ بعد التّربّص في قوله: ﴿وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ﴾؛ لأنّ طولَ التّربُّص والانتظار يُفضي إلى الارتياب[3]، إذ لا يطول التّرقّب في النّفس إلّا ويورثُها الظّنونَ والشّكوك، فكان ترتيبًا يكشف تطوّر حالِ المنافقين من تربّصٍ خفيٍّ إلى ريبةٍ غامرةٍ، تُفْسِد الحقَّ واليقين.

سِرُّ التّعبيرِ بـ﴿وَغَرَّتۡكُمُ﴾:

الغُرورُ يوحي بانخداعِ النّفسِ طواعيَةً

أوثِر التّعبيرُ بالغُرور دونَ الخداع في قوله تعالى: ﴿وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ﴾؛ لأنّ الغُرور يوحي بانخداع النّفس عن طواعيةٍ؛ فهو انخداع المَرءِ بنفسه، أو بآمالِه الباطلة بعد أن فَتَنوا هم أنفسَهم حتّى وصلوا إلى الأماني الكاذبة، وقد خدعَتْهم بأوهامٍ زائفةٍ، فقَبلوها وطاوَعوها وتعلّقوا بها، فكانوا شركاءَ في الغُرور، لا من ضحاياه فحسب.

(1) الهلال، تفسير القرآن النّريّ: 11/ 341.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 459.
(3) الهلال، تفسير القرآن النّريّ: 11/ 341.

بلاغةُ المجازِ العقليّ في إسنادِ الغُرورِ إلى الأمانيّ:

الأمانيُّ الباطلةُ سببٌ في الهلاكِ وتضليلِ العقولِ

في قوله تعالى: ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾ مجازٌ عقليّ؛ بأنْ أسندَ فعلَ الغُرور إلى الأمانيّ، إذْ كانت سببًا في الغُرور ومُلابستِه[1]، فأسند الفعلَ إليها مجازًا على جهة السّببيّة، بأن خدعتْهُم أوهامُهم وما فيه مَطمَعٌ لهم، وهو ليس كذلك[2]، ليُصوّرَ كيف تحوّلت الأوهامُ والطّموحات الباطلة إلى شراكٍ أغوتهم، وكأنّها تملّكت زمامَ عقولِهم، ودفعتهم إلى الهلكة.

سرّ التّعبيرِ بالأمانيّ جمعًا معرّفًا بـ(أل):

تصويرٌ لتَعدُّدِ الوَهْمِ وشمولِه واستيلائِه على النّفوس

آثَر القرآنُ الكريم التّعبيرَ بالأمانيّ جمعًا مُعرّفًا بـ (أل)، دونَ التّعبيرِ بالمُفرد المُنكّر؛ لأنّه يحتمل أمورًا كثيرة؛ منها: خِداع الشّيطان والدّنيا وقولهم: (سيغفر لنا)، وقولهم: اليوم وغدًا، وأنّ مُحمّدًا سيهلك وستأخذه الأحزابُ، ومن جملة تلك الأمانيّ الكثيرة: ما كانوا فيه من التّربّص. ومنها: طولُ الأمل، وما كانوا يتمنّونه من ضعف المؤمنين[3].

سِرُّ عدمِ إضافة الأماني:

تصويرُ الأمانيّ بأنّها قوّةٌ غالبةٌ على النّفوسِ

لم يَقُلْ السّياقُ القرآنيُّ: (وغرّتكم أمانيكم)؛ بل قال: ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾؛ تهويلًا لشأنها وتعظيمًا لما انخدعوا به، حتّى كأنّها أمانيٌّ غريبةٌ عنهم، فُرضت عليهم من خارج ذواتهم، لا من داخل نفوسهم، وكأنّها فوقَ أمانيّهم أو مُضافةً إليها[4].

دلالةُ ذِكْرِ الغُرورِ بعد الارتيابِ:

ترتيبٌ نفسيٌّ يكشفُ مراحلَ التّضليلِ بين الشّكِّ والأملِ الكاذبِ

ترتيبُ الأفعالِ في قوله تعالى: ﴿وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾ يدلُّ على تسلسلٍ نفسيٍّ، وانزلاقٍ داخليٍّ وقعَ فيه المنافقون؛ فالتّربُّص

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 387.
(2) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 4/ 234.
(3) الماورديّ، النّكت والعيون: 5/ 476، وابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 5/ 263، والشّوكانيّ، فتح القدير: 5/ 205.
(4) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 4/ 161.

يزرعُ في النّفس شكًّا وارتيابًا، فالارتيابُ هو نتاجُ التّربّصِ، الذي يُثقل القلبَ بالظّنون والشّكوك، ومع هذه الحالة المُتأزّمة، تأتي الأمانيُّ الباطلة لتَغرَّهم؛ أيْ: لتخدعَهم وتوهمَهم أملًا زائفًا يُبْعِدُهم عن الحقّ المبين.

سِرُّ الاكتفاءِ بهذه الأفعالِ الأربعةِ في جوابِهم:

أسبابُ الخُسرانِ وأصولُ النّفاقِ

اكتفى التّعبيرُ القرآنيُّ بذِكْر هذه الأفعال الأربعة الواردة في قوله تعالى: ﴿فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ﴾ في الرّدّ على قول المنافقين: ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْۖ﴾؛ لأنّها الأسسُ الجوهريّة التي تُفَسّر أسبابَ الخُسران؛ وهي فتنةُ أنفسِهم، والتّربّصُ بالمؤمنين، والارتيابُ في صدق الرّسول ﷺ، والاغترارُ بالأمانيّ التي تُهيّجها أنفسُهم، إذ تُمثّل هذه الأربعةُ الأصولَ الأساس التي تنبثق منها جملةُ الخصالِ المُتفرّعة عن النِّفاق[1].

سِرُّ استعمالِ ﴿حَتَّىٰ﴾ دون (إلى):

دلالةُ الدُّخولِ في الغَيّ والاستمرارِ فيه

استعمل التّعبيرُ القرآنيُّ ﴿حَتَّىٰ﴾ دونَ (إلى) في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾، وهما مشتركان في دلالةِ الغايةِ؛ لأنّها تُبيِّن معنى الدّخول في الغاية والاستمراريّة فيها، والمثابرةِ على الحالة الماضية بلا انقطاعٍ، فتؤكّدُ أنّ المنافقين ظلّوا في غَيِّهم وجهلهم على الرّغم من طول أعمارهم وتعاقب السّنين، ولم يكترثوا بالعواقب[2]، أمّا (إلى) فالتّعبير بها يدلّ على الوصول فقط دون إظهار هذا التّتابع المستمرّ، ودونَ الدّخول في الغاية.

دلالةُ التّعبيرِ بالمَجيء دونَ الإتيانِ:

فاجأهم الموتُ في غَيِّهم، والقضاءُ صار قَدَرًا غيرَ مردودٍ عنهم

أوثر التّعبيرُ بفعل المَجيء في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾، دون فعلِ الإتيان؛ لدلالته على حدوث الأمر بسرعة ومباغتة، تحمل في

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 385.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 386.

طيّاتها معنى الفاجعة والقُدوم غيرِ المتوقّع، كما لو أنّ الموت قد فاجأهم، وهم متمسّكون بباطلهم[1]، فلم يكن لهم وقتٌ للتّدارُك أو التّوبة.

سرُّ التّعبيرِ عن المَوتِ بأمرِ اللهِ:

انقطاعُ الأعمالِ وطَيُّ الصُّحفِ

التّعبيرُ عن الموتِ بـ﴿أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ يشير إلى قضاءِ اللّهِ المحتومِ الذي يجتاح حياةَ الإنسانِ[2]، فتتوقّف الأعمال وتُطوى الصّحف، وتجفّ الأقلام، فلا يعود للمُذنب مجالٌ للمراجعة أو التّدارك؛ فهو كنايةٌ بليغةٌ عن الموت الحتميّ[3]، الذي يأتي بغتةً، ويقطعُ كلَّ أملٍ، ويُعلن انتهاءَ الحسابِ.

سِرُّ التّعبيرِ بالأمرِ مُفردًا ﴿أَمۡرُ﴾:

القضاءُ الإلهيُّ لا مُعقِّبَ عليه

استعمالُ لفظِ الأمر مُفردًا في قوله: ﴿أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ يحملُ في طيّاته دلالةً على وحدة الحَسْم وقوّةِ القضاء الإلهيّ التي لا تقبل التّجزئةَ أو التّأجيل، وأنّ الأمر نهايةٌ لا مناصَ منها، ولحظةٌ فاصلة تُنهي مسارَ الحياةِ، وكلَّ أفعالِ الإنسان دفعةً واحدةً، وتُعبّر عن حتميّة الموت كقضاءٍ واحدٍ شاملٍ يجمع كلّ الأسبابِ والنّتائجِ في لحظةٍ مُقدَّرةٍ لا مهربَ منها.

دلالةُ إضافةِ الأمرِ إلى لفظِ الجلالةِ ﴿ٱللَّهِ﴾ دونَ الرَّبِّ:

لا خُلْفَ لوعدِهِ ولا مَردّ لما قدَّره في سابقِ الآجالِ

أضاف التّعبيرُ القرآنيّ لفظَ الأمر إلى الاسم الجليل ﴿ٱللَّهِ﴾ دونَ لفظِ الرّبِّ؛ لما في اسم الجلالة من جلال السّلطان، وكمالِ القَهْر، وشمولِ القدرة، فالإضافةُ هنا تُضفي على الأمر هيبةً مُطلقةً، وتُظْهِر أنّه قضاءُ المَلِكِ الذي لا كُفْءَ له، ولا مَردَّ لأمره، ولا تأخير لحُكمه، فهو أمرٌ لا يصدر إلّا عن الإله المُتّصف بجميع صفات الكمال[4]. وتدلُّ الإضافة على تهويل شأن الموت، وتفخيم

(1) مجموعة مؤلّفين، التّفسير الوسيط: 9/ 1290.
(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 23/ 185.
(3) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 4/ 234.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 276.

جهته، وتفظيع موقِعِه[1]، إذ جاء الإسناد إلى الاسم الجامع لصفات الجلال والكمال، فكأنّ الموت ليس مُجرّد نهايةٍ، بل هو أمرٌ صادرٌ عن الإله الأعظم، لا يُردّ ولا يُقاوم، يُسْدَل به السّتارُ على أعمار الخَلْق وأعمالهم.

بلاغةُ اعتراضِ جملةِ المَجيء بين جُملَتَي الاغترار:

جاءت جملة الغاية ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ معترضةً بين جُملتَي الاغترار ﴿وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ﴾ و﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾؛ لتصوير نهاية الطّريق، وتأكيدِ انكشافِ غُرورهم عند حلول الأجل، وكأنّها صوتٌ قاطع يفضح المصير الحتميّ الذي طالما غفلوا عنه، وفي ذلك تحذيرٌ بليغٌ للمؤمن، أن لا يغترّ بالأمانيّ، ولا يماطلَ بالتّوبة، وألّا يركنَ إلى التّسويف بقوله: غدًا غدًا[2]، فإنّ الأمر قد يأتي بغتةً، ولاتَ ساعةَ مَنْدَم.

تحذيرٌ قاطعٌ لِمَنْ يُسَوّف التّوبةَ

بلاغةُ إسنادِ المجيءِ إلى الأمرِ:

إسناد فعلِ المجيء إلى الأمر في قوله تعالى: ﴿جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ من باب المجاز العقليّ، وعلاقته السّببيّة، إذ ليس الأمر هو الذي يَجيء حقيقةً، بل الذي يجيء هو ما يترتّب عليه من الموت وانقضاء الأجل؛ فالمعنى في الحقيقة: حتّى أماتكم الله تعالى[3]، لكنّه أسنده له ليَبُثَّ في النّفوس رهبةً أشدّ، وإيقاظًا أبلغ.

إيقاظُ القلوبِ وتثبيتُ الرّهبةِ في النّفوسِ

بلاغة العطف ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾:

عطف التّعبيرُ القرآنيّ الجملةَ من قوله تعالى: ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ على جملة ﴿وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ﴾؛ لتكون تأكيدًا وتحقيرًا لغرورهم وأمانيّهم الزّائفة التي هي من كَيدِ الشّيطان الماكرِ الذي أوهمهم بغيرِ الحقيقة، فازدادت بذلك خسارتُهم وحِرقةُ قلوبِهم

تضاعفُ حسرتِهم عندما انكشفَ الحقُّ لهم

(1) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 4/ 234.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 387.
(3) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 4/ 234.

حين انكشف لهم الحقّ، فتضاعفت الحسرة والأسى على ما غرّتهم به أنفسُهم، وغرّهم به العدوُّ الخَفيّ[1]. وممّا يُذكّر في عطف الجملة من قوله تعالى: ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ على جملة ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾؛ أنّها من باب عطف العامّ على الخاصّ[2]، حيثُ جاءت الأمانيّ كسَبَبٍ مُقيِّدٍ لغُرورهم، ثمّ توسّعت في تعميم الغُرور ليشملَ خِداع اللّه لهم، بما يدلّ على اتّساع دائرته وشموله.

سِرُّ تكرار الفعل (غَرَّكُم):

غـــرورٌ يـتـكـرّر وتبكيتٌ يتّسعُ في حصارِ المنافقين بـخـطـايـاهـم الأربع

إعادة الفعل (غَرَّكُم) بعد ذِكْره أوّلًا لتوكيد المعنى وتثبيت صورةِ الغُرور المُتكرِّر، ولتكثيف أثرِه في النّفوس؛ فإنّ غرورهم لم يكن محصورًا في الأمانيّ، بل تعدّاه إلى ما هو أعظم، وهو الاغترار باللّه حتّى وقعوا فريسةً لخِداع النّفس والشّيطان، فحالُهم في مشهد تبكيتٍ عظيم، اجتمع عليهم فيه أربعُ موبقاتٍ: فتنتُهم لأنفسهم، وتربُّصُهم بالمؤمنين، وارتيابُهم في حقائق الإيمان، وانخداعُهم بالغُرور، فكأنّهم أُحيطوا بخطاياهم من كلّ جانبٍ[3].

دلالةُ الباءِ في قولِهِ: ﴿بِٱللَّهِ﴾:

تغريرُ الشّيطانِ للمنافقين بعدمِ غضبِ اللهِ عليه

الباء في قوله تعالى: ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ للسّببيّة، أو للآلة المجازيّة، أيْ إنّ الشّيطان جعل شأنَ اللّهِ واسمَه سببًا لغُرورهم، فخَيّل إليهم أنّ التّماديَ في الكُفر لا يُغضِب اللّه، بل هو ممّا يرضاه، وأنّ النّفاق وسيلةٌ لحفظ الدّين والنّفس وكرامةِ القوم، بل واتّخذه بعضُهم ذريعةً لاختراق صفوف المؤمنين، والاطّلاع على أسرار عدوّهم[4]. وممّا يُذكَر في دلالة الباء في قوله: ﴿بِٱللَّهِ﴾ أنّها تدلُّ على تقبيح هذا النّوع من التّغرير، إذِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 387.
(2) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 4/ 234.
(3) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 4/ 235.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 387.

التبس بأعظم الشّؤون، وهو شأن الله ﷻ، فصار الغرور هنا أقبح أنواعه، وأشدَّها فجورًا[1].

دلالةُ تقديمِ ﴿بِٱللَّهِ﴾ على ﴿ٱلْغَرُورُ﴾:

إثـارةُ الانتباهِ وتعظيمُ وقعِ التّغريرِ وإبرازُ قُبْحِه

جاء تقديم الجارّ والمجرور ﴿بِٱللَّهِ﴾ على الفاعل ﴿ٱلْغَرُورُ﴾ في قوله: ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾؛ لإبراز فظاعة المُتعلَّق؛ أيْ: فظاعةِ أن يكون الغُرور مُتعلّقًا باسم الله ﷻ، فجاء التّقديم لإثارة الانتباه، وتعظيمِ وقع التّغرير، وإبرازِ قُبحه، إذ ليس الغُرورُ مُطلقًا؛ بل هو غرورٌ باسم الله، وفي ذلك تشنيعٌ على المُغترّين، وتوبيخٌ لِمَن سوّلت له نفسُه أن يجعل من صفات الله أو رحمته مدخلًا للتّسويف والمعصية.

بلاغةُ المجازِ بالحذفِ في قولِهِ: ﴿بِٱللَّهِ﴾:

الحذفُ أبلغُ في التّوبيخِ وأشدُّ في التّنديدِ

في قوله تعالى: ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ مجازٌ بالحذف؛ إذ التّقدير: وغرّكم الشّيطانُ بحِلْم اللهِ وإمهالِه[2]، فحُذف المُضافُ، وأُقيم المُضافُ إليه مقامَه على سبيل المجاز، فيكون أبلغَ في التّوبيخ، وأشدَّ في التّنديد، إذْ جعلوا من حِلم الله ورحمته سُلّمًا للتّهاون، فاستحقّوا أن يُؤخذوا بأشنع الوجوه. ويجوز أن يكون التّقديرُ: غرّكم بالله سلامتُكم منه مع الاغترار والخِداع[3]، فجعل الاسمَ الجليل مُقامًا للمُضاف إليه والمُضاف معًا، ليَختصرَ المعنى، ويُشدِّدَ وقعَ الغُرور، ويُبرزَ كيف اتَّخذوا مَنْ ظنّ السّلامة بالله سببًا للانخداع والضّلال.

سِرُّ التّعبير بـ﴿ٱلْغَرُورُ﴾ بالفتح:

المبالغة في وصف المتّصف بالتّغرير

التّعبير بـ﴿ٱلْغَرُورُ﴾ بفتح الغين في قوله: ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ دونَ (الغُرور) بضمّ الغين؛ لأنّ التّعبير بمفتوح الغين ﴿ٱلْغَرُورُ﴾ هو للمبالغة في وصف المُتّصف بالتّغرير، والمُراد به هنا الشّيطان، إذ

(1) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 4/ 235.
(2) الواحديّ، التّفسير الوسيط: 4/ 249.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 459.

يُلْقي في نفوسهم خواطرَ النّفاق مُزوِّرًا إيّاها بألوان الحقّ، ومُرْضيًا لديهم دينَ الكفر، زاعمًا أنّه مرضاةُ اللّه[1]. بينما الضّمُّ في (الغُرور) يحمل معنى الأباطيل[2]. ويجوز أن يكون لفظ (الغُرور) بضمّ الغين، وهو كلّ ما يَغترُّ به الإنسان من متاع الدّنيا وشهواتها ومالها وجاهها وأنعامها وحرثها، وحتّى ثناءُ النّاسِ عليه، فهو نوعٌ من الخِداع الذي ينشأ عن غفلةٍ، أو قِلّة تدبّرٍ وتفكيرٍ، وهو متاعٌ زائلٌ غيرُ دائمٍ، مقارنةً بمتاع الآخرة الباقي الذي لا يفنى ولا يزول[3].

دلالة (أل) في ﴿ٱلْغَرُورُ﴾، وسِرُّ مجيئِه على صيغةِ (فَعول):

الشّيطانُ رأسُ الغِوايةِ ومصدرُ الإغواءِ

(أل) في لفظ ﴿ٱلْغَرُورُ﴾ للاستغراقِ، لتدلَّ على جنسِ الغارّين، لا مجرّدِ واحدٍ منهم، وهم أئمّة الكفر، وقادةُ النّفاق[4]، وأمّا مجيئُه على صيغة (فَعول)، فهي من صيغ المبالغة؛ للدّلالة على كثرة صدوره عن الغَرور، ومداومته عليه، فهو لا يُغوي مرّةً أو مرّتيْن، بل يُغْري ابنَ آدمَ تكرارًا، ويتسلّل إلى قلبه دهاءً وخِداعًا، وهو الشّيطان رأسُ الغِواية ومنشؤها[5].

سِرُّ التّعبيرِ بـ﴿ٱلْغَرُورُ﴾ دونَ التّغرير:

تمكّنُ الخِداعِ من النّفسِ واستسلامُها له

جاء التّعبيرُ بـ﴿ٱلْغَرُورُ﴾ دونَ لفظِ التّغرير؛ لأنّ الغَرورَ أبلغُ في تصوير الحالة، إذ يدلّ على تمكُّنِ الخِداع من النّفس واستسلامِها له، حيثُ ينخدع الإنسانُ ويطمئنُّ إلى الباطلِ، ويَظنُّه حقًّا، بينما التّغريرُ يُعبِّر عن مُجرّدِ إظهار الضّارّ في صورةِ النّافع بتمويهٍ وسفسَطةٍ[6].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 387.
(2) الثعلبيّ، الكشف والبيان: 9/ 239.
(3) الهلال، تفسير القرآن الزّكيّ: 9/ 268.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 387.
(5) السّمرقنديّ، بحر العلوم: 3/ 405.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 387.

بلاغةُ المجازِ في إسنادِ التّغريرِ إلى الشّيطانِ:

هو السّببُ المُزيّنُ للتّغريرِ بكذِبِه وتسويفِه

إسنادُ التّغرير إلى الشّيطان من المجاز العقليّ؛ لأنّ الشّيطان هو السّببُ المُزيِّن للتّغرير[1]، فإنّ من صفاته الكذبَ، وكيف لا يكون كذلك، وهو العدوّ الحسود المشتهرُ بالتّسويف بتأميلكم غفرانَ اللّهِ ورحمتَه وعفوَه، وتهوينِ شأنِ ذنوبكم، فلا يزال كذلك حتّى يوقعَ ابنَ آدم، ثمّ يواصلَ عليه حتّى يتمادَى، ثمّ يؤولَ الأمرُ إلى أن تكون نفسُه هي الباعثُ حينئذٍ، عند ذاك يصبحُ طوعَ أمرِه[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

النّداء والدّعاء:

مناسبةُ رفعِ الصّوتِ لشدّةِ هولِ يومِ القيامةِ

في قوله تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾، جاءت الآية بالنّداء، وليس بالدّعاء، لاختلاف معنييْهما؛ فالنّداء رفع الصّوت، والدّعاء يكون برفع الصّوت وخفضه؛ فقد يدعو المرء بعيدًا، وقد يدعو اللّهَ في نفسه[3]، فتقول: دعوتُ فلانًا من بعيدٍ، وتقول: دعوتُ الله تعالى في نفسي، ولا يصحّ أن تقول: ناديتُ الله في نفسي، والدّعاء قد يكون بعلامةٍ من غير صوتٍ وكلام، ولكن بإشارةٍ تُنبئُ عن معنًى؛ بخلاف النّداء، فلا يكون إلّا برفع الصّوتِ وامتداده؛ لأنّ المقام يقتضي رفعَ الصّوت ليصلَ إلى مَن يُنادَون، إذِ الموقف يوم القيامة عظيمٌ، والبُعد بين الفريقيْن ظاهرٌ، والحاجز بينهما قائمٌ، فلا يكفي مجرّدُ الدّعاء الخافت أو المناجاة، بل يحتاج إلى نداءٍ يُسمَع من وراء السّورِ والحاجز، فجاء التّعبيرُ بالنّداء للدّلالة على رفع الصّوت وإظهاره ليبلغَ الطّرفَ الآخرَ.

الفتنة والابتلاء:

في قوله تعالى: ﴿فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ استعملَ لفظَ الفتنةِ، ولم يُعبّر

(1) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 4/ 235.
(2) البقاعيّ، نَظْمُ الدُّرر: 19/ 277.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 534.

بالابتلاء؛ لأنّ الابتلاء في أصله لا يجاوز معنى التّعرُّض للمشاقّ، وتحمُّل المكاره[1] لاختبار العبد، أمّا الفتنة فهي أبلغ وأشدّ؛ إذ أصلها من عرض الذّهب على النّار ليتبيّنَ خالصُه من زائفه، وفيها معنى الإحراق والتّنقية والتّمييز الشّديد[2]؛ فكان التّعبير بالفتنة هنا أدقَّ في تصوير حالهم، لأنّهم لم يقتصروا على مجرّد ابتلاءٍ عابرٍ، بل أوقعوا أنفسَهم في أتون اختبارٍ مُهلِكٍ أحرق قلوبَهم، وعرّضوا أنفسهم لما يكشف حقيقة إيمانهم، ويُظهِر خبثَ باطنهم، فكأنّهم ألقَوا ذواتَهم في لظى الفتنة حتّى بان فسادُ معادِنِهم.

الفتنةُ تكشفُ بواطنَ النّفسِ بإظهارِ خبيثِها من طيّبِها

التّربّص والانتظار:

عبَّر الحقُّ سبحانه بالتّربُّص في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ﴾ ولم يُعبِّر بالانتظار، إذِ الانتظار لفظٌ عامٌّ يشمل القليل والكثير من الزّمان، أمّا التّربّص فهو طول الانتظار[3] مع الترقّب لما يَحِلُّ بالمُتربَّص به من خيرٍ أو شرٍّ[4]، فكأنّ الآية تُصوّرهم وقوفًا ممعنين في إطالة التّرقُّب، يحدوهم رجاءُ الباطلِ أو خوفُ الحقِّ، فدلَّ اختيارُ هذا اللَّفظِ على ثِقَل زمنِ الانتظار وامتداده، وعلى ما يكتنفه من توجُّسٍ وحَذَرٍ وشرودٍ عن اليقين.

تـرَبُّـصٌ مـوحٍ بطولِ الانتظارِ المـمـزوجِ بـالـتّـوجُّـسِ والحَذَرِ

الارتياب والشّكُّ:

عُبِّر بالارتياب في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ﴾، ولم يُعبَّر بالشّكّ؛ لأنّ الارتياب أخصُّ من مُطلَق الشّكّ، إذ هو شكٌّ يُلابسُه اتّهامٌ وريبةٌ[5]، فكأنّ قلوبَهم لم تكتفِ بالتّردّد في الحقّ، بل جاوزته إلى إساءة الظّنّ والتّهمة في أمره،

الارتـيـاب شكٌّ مـصـحـوبٌ بـالـتُّـهـمـة، فـقـلـوبُـهـم مُترددّةٌ في الحقّ مـتـجـاوزةٌ إلى سوءِ الظّنّ

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 10.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 217.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 76.
(4) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (ربص).
(5) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 41.

فكان اختيارُ لفظِ الارتياب أبلغ في تصوير حالهم، إذ جمع بين ظُلمةِ الشّكِّ، وغشاوةِ التّهمةِ.

الغُرور والخِداع:

إيهامٌ يسوقُ إلى الضَّررِ واستدراجٌ إلى الهلاك

عبَر المولى سبحانه بالغُرور في قوله تعالى: ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾، ولم يعبِّر بالخِداع؛ لأنّ الغُرور أبلغُ وأعمقُ دلالةً في تصوير حالهم؛ إذ الغُرور إيهامٌ يحمل الإنسان على فعل ما يَضرُّه وهو غافل عنه، كمَن يظنّ السّرابَ ماءً فيُضَيِّع ماءَه فيَهلكُ عطشًا، أو كآدم عليه السلام حين غَرَّه إبليسُ فأقدمَ على الأكل ممّا نُهيَ عنه؛ فوقع في الضَّرر[1]، فالآية تبيّن أنّ أمانيَّهم الكاذبةَ، وخيالاتِهُم الباطلةَ حملتهم على الغفلة والاغترار حتّى جاءهم أمرُ الله، وهم على غيّهم.

أمّا الخِداع: فدلالته على السَّتر والإخفاء لوجه الصّواب فحسب[2]، وهو أخصّ وأخفّ من الغُرور؛ فجاء اختيارُه ليصوّرَ شدَّةَ انخداعِهم وانسياقِهم وراءَ الأوهام حتّى استدرجَهم الباطلُ إلى ما فيه الهلاك.

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 383 - 384.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 384.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الستون،
سورة الحدِيد من الآية 14 إلى سورة الحَشر الآية 10
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الستون، سورة الحدِيد من الآية 14 إلى سورة الحَشر الآية 10
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 60 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-66-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 60 : المجلد الستون، سورة الحدِيد من الآية 14 إلى سورة الحَشر الآية 10.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-66-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5294607 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"